القصص

من أساطير الأغريق

إيخو ونركيسوس (١)

الفاتنـــة التي أصابها البكم ، والجميل الذي عشق صورته

للأستاذ دريني خشبة

كان زيوس — كبير آلهة اليونان — يتمشّق فتاةً حلوة الدل ، بارعة الحسن ، رقيقـة الشمائل ، تُدعى يو . وكان ، برغم زوجاته الحمس أو البست ، يختلف إلى حبيبته في الخلسة بعد الخلسة ، يؤانسها ويسامرها ، وتؤانسه وتسامره ، ويبل فمه الظامئ من ثغرها الراوي ، بقبلة . . . أورشفة . . .

وكانت أولى زوجاته (حيرا) هي التي تزعجه بما تبث حوله من الرقباء ، وتنشر من الجواسيس ، يحملون اليها كل حركة من حركاته . وكان هو يضيق بكل ذلك ، ولكنه لا يستطيع إلا أن يداهن ويداهن ... ويبالغ في المداهنة ، لشدة شغفه بحيرا ، ولأنه كان يحس في الخضوع لها لذةً أولمبية لا تعدلها لذة . . . إلا لذة تذليله لحبيبته يو

وكما كانت حيرا تمكر مكرها في كل حين ، كذلك قد مكر الآله مكره . . . !

أراد أن يشغلها عنه بملهاةٍ تذهب من وقتها كل يوم بساعاتٍ يقضيها في أحلامه الغرامية بين يدي يو ، ملتذاً قوامها الخصب ، مستمتعاً بجمالها الفيّنان ، سابحاً في هذه اللجة المترعة بالفاتن ، في كل جارحة من جسمها المشوق

وقد سنحت له الحيلة . . .

حدّثها عن فتاة ناضرة الشباب ، ريّانة الأهاب ، عذبة اللسان ، وقّادة الجنان ، تعرف من قصص الحياة وأنباء الدنيا مالم يتيسر بعضه للآلهة أنفسهم ! وكانت حيرا ، ككل الأنثيات ، مولعةً بالثرثرة ، مشغوفةً بالمعرفة ، تبغض الصمت وتغرم بالكلام الطويل الموشّى . وهي مع ذاك طُلَعة ، بقدر ما هي أذن ، تتكلم كثيراً ، وتُثرثر كثيراً ، وتسمع كثيراً

وانطلقت إلى الفتاة فشُغفت بها لأول لقاء ، ووجدتها ، كما حدّث زوجها فيّاضة القول غزيرة القصص ، تتدفق في حديثها تدفق الخمر في الكأس ، حتى إذا استقرت في مكانها من الجسم ، شاعت حُمَيّاها فيه ، فأطربت ، وأرقصت ، كأنها عُصرت من حديث هذه الفتاة !

ثم جعلت تتردّد عليها ؛ وما تكاد الفتاة تفرغ من إحدى قصصها العجيبة حتى تأخذ في أعجب منها وأغرب ، وهي بين الآونة والأخرى ما تني تنمق حديثها بالنكات البارعة ، والملح الرائعة ، مرسلةً المثلَ في مقامه ، والحكمة في موضعها ، في غير كلفةٍ ولا عناء . ثم هي كانت رقيقة دقيقة ، لا تُمل السامع ولا ترهق الناظر . وكانت تُقبل على مُحدّثها وكأنها تختص كلاً منهم بقلبها ، وكأنما تلقي إلى كل منهم بقرارة نفسها ، حتى ليحسبها كلٌّ له وحده ، بما يحسبه تؤثره به من عطفٍ ، وتغمره من ود ، وتزجي إليه من محبة . . .

وكانت حيلة صائبة من زيوس ، شغل بها حيرا طويلاً ، ليفرغ هو إلى يو ... فيا للآلهة ! !

ولكنها شعرت من زوجها لفحةَ الصد ، وأحست فيه انقباضاً وجفوة ، فوقر في نفسها أن لابد من أمر ، وأن هناك سراً أي سر ؛ فآلت لتكشفنّ ما تغفلها فيه

وبثت عيونها ، وأرسلت أرصادها ، حتى استوثقت مما كان بينه وبين يو ، وحتى أدركت أنه قصد إلى إلهائها بهذه القصاصة الخبيثة ليفرغ هو إلى لُباناته وأوطاره !

(١) آثرنا عدم ترجمة ايخو — أو إكو — بما يرادفها في العربية وهي لفظة (صدى) لأن النسبة يونانية وقد نقلها الرومان عنهم ثم ذاعت في كل اللغات . وكذلك أثبتنا لفظة نركيسوس (نرجس) ليونانيتها أيضاً

ولا ندرى ما ذنب الفتاة التى ملأت أذنى حيرا سحراً ، ونفثت فيهما موسيقى وألحاناً ؟ لقد ظلمتها زوجة الآلـه الأكبر ، التى تحمل بالباطل لقب حامية النساء وحافظة الأجنة ، حين أقسمت لتسلبنها الطلاقة والذلاقة ، ثم لتُسلطن على لسانها العىّ والحَصَر يُشقيانها ويُعذبانها !

لقد كان كل ما اتهمت الفتاة به أنها كانت سبباً فى تمادى زوجها فى غىّ حبه ، وإبعاده فى ضلالة هواه ؛ فنفثت فى عُقد سحرها ، ثم قصدت إلى الفتاة المسكينة فبهرتها ، وأرسلت عليها شُواظاً من غضبها ، وقذفتها برُقْيةٍ من رُقاها المهلكة ، لم تستطع بعدها أن تُلجلج لسانها بكلمة واحدة تفرج بها عما فى نفسها ...

وقهقهت حيرا حين حاولت الفتاة أن تتكلم فلم تستطع ؛ ثم شاءت الخبيثة أن تظهر آية أخرى من آيات غدرها ، فقالت ، بعد أن نفثت نفثة ثانية : « أنا أسميك إيخو ؛ وأمنّ عليك فأطلق لسانك باللفظة المفردة ترسلينها فى ذيل كل كلام تسمعين ... اللفظة الأخيرة فحسب يا إيخو ... »

فرددت الفتاة المسكينة : « إيخو ! ! »

***

أما يو ، فقد نفذت اليها حيرا وصبت عليها من جام سحرها ما تحولت به إلى بقرة صفراء فاقع لونها ... تسوء الناظرين . ولهذا حديث طويل مشج ندعه الآن ، لنرى ما كان من أمر إيخو . .

دهشت الفتاة لبيانها أين ذهب ، ولصوتها الجميل أين ولّى ، وللرخامة الفضية التى كانت تترقرق من فمها الشتيت كيف ضاعت ، ولهذا السحر الذى كيف قضى على أولئك جميعاً ؟ !

لقد بكت كثيراً ، وتوسلت إلى الآلهة ، ولكن ... أين الآلهة ؟ لقد تصامُّوا جميعاً ، لأن حيرا هى القاضية ، ولأنهم يشفقون أن تُفسد عليهم أسباب السماء كما أفسدت الأرض على عرائس البحر !

وأطلقت ساقيها للريح ، فيممت شطر غابة ذات ماء وذات أفياء ، ثم إنها تخذت لها مأوى فى أصل سنديانة ضخمة الجذع ، معروشة الفروع ، وارفة الأفنان ، وأقامت ثمة تجتر أحزانها وتُسعّر أشجانها ، وتقابل بين ماضيها السعيد وحاضرها الشقى ، وتسكب فيما بين هذا وذاك دموعاً ساخنات وعبرات غاليات !

وبينا هى سادرة فى كهفها ، مستغرقة فيما آل اليه أمرها ، إذا بصَخَبٍ يافع من الشباب اليانع يمرون ببابها ، من دون أن يروها ، وهم يتحدثون أحاديث الصبى ، ويتسامرون سمر الفتوة ، ناعمين بأشهى مناعم الحياة

وظلت ترقبهم ، وتستذكر أيامها الخوالى ، إذ الشمل مجتمع ، والرواد محدقون ، مرهفةً آذانهم ، شاخصة أبصارهم ، فاهتزت هزة المحموم بالشجن ، المروّع بالشجى !

وأطلت من كناسها ، فرأت الغلام الاغريقىّ المشهور ، « نركيسوس » الذى دلّـه الآلهة بجماله ، وتام عذارى أثينا بنضارته وإشراقه . ورأته يتخلّف عن أصحابه ، مأخوذاً بجمال نرجسة حلوة اقتطفها من غصنها الميّاس وَفَنَنها المياد . ثم وقف يحدّق فيها بعينيه المسولتين ، اللتين لوّنتهما شمس الجنوب بهذه الصبغة السحّارة ، وكنت ملأها بماسيب الفتنة ، تنتشر منهما فى دنيا القلوب !

والسبيل فى الغاب ملتوية متداخلة ... تيه يضل فيه العابر ، ويباب أخضر لا يهتدى فيه السائر ؛ هنا منعرج لا يصل منه الانسان الى أمن ، وهناك منحنى لا ينتهى الى سلام . ولقد مضى الدليل مع الصحاب ، ولبث نركيسوس وحده ، يضرب أخماساً لأسداس

ولم تستطع إيخو حين أبصرت به أن تفلت من هذا الشرك المنتشر حوله ، تعلق بخيوطه السحرية القلوب والألباب . . . فأحبته بكل قلبها ، وأرسلت فى نظراتها اليه نفسها تتمرغ تحت قدميه ، وتهيهم بين قدميه ، كأنها خُلقت له . . . لا لها !

ولكن كيف السبيل الى التعبير عن هذا الهوى الملح والحب الخاص ، ولسانها فى عُقال إلا من المقطع الأخير ، ينطلق فى إثر الحديث ، أو اللفظة المفردة ترددها بصياح كل صائح ، وهُتاف كل هاتف ؟ !

وراحت تقتفى أثره ، من غير أن تشعر هى ، ودون أن يشعر هو ! وتَقُصّ خُطاه وهى لا تعى ما تفعل ، وهو لا يدرى كذلك ؛ فكان دبيبها كدبيب القطا ، أو كوثب الضفادع . على أن حركة غير مقصودة أتت بها إيخو جعلته يعتقد أن أحداً من سكان الغابة يتبعه ، فصاح قائلاً :

« من ؟ . . . »

فرددت المسكينة نداءه : « من ؟ . . . »

فقال : « هل من أحد هنا . . . ؟ »

وأرسل هذا السؤال فى رعب خفيف ، فرددت إيخو اللفظة الأخيرة : « هنا . . . »

فبهت نركيسوس ، وقال ، وقد خال المتكلم امرأة :

« هلمى يافتاة . . . هلمى . . . »

فرددت إيخو اللفظة الأخيرة . . « هلمى . . »

فزادت حيرته ، وتضاعف خباله . . وقال :

« لم لاتأتين إلى ، وليس هنا أحد يرى ؟ ولا انسان يشهد ؟ »

فثار كامن الهوى فى نفس إيخو ، وملأت اللفظة الأخيرة : « يشهد ؟ » بكل ما تركت لها حيرا فى قرارة لسانها من رنين فضى ، وجرس جميل . . . »

وعاد نركيسوس يقول : « يافتاة ! ليت شعرى ما يحجزك ؟ أين أنت إن كنت هكذا تستحين ؟ تعالىْ »

وكأن إيخو أدركت أن الفرصة سانحة للقاء هذا الحبيب الطارئ ، فبرزت من مكمنها فى غير هيبة ولا وجل ، وقصدت اليه ، تعرض حبها ولظى جواها عليه ؛ ولما لم يكن فى مكنتها أن تخاطبه ، لتكشف له عما تضمر من هيام به ، ومحبة له ، بدا لها أن تثب إلى حيث هو فتعانقه ، وتضم صدره إلى صدرها ، ليبث أحدهما إلى الآخر

ولم تكد تفعل حتى جهد نركيسوس فى تخليص نفسه منها ، ثم انطلق فى الغابة لا يلوى على شئ ، كالرئم المروّع والظليم المفزّع . . . !!

وذلك أنه لم يجرب هذه المفاجأة بالحب ، ولا وقع مرة فى شراك غرام ، وقد ربكته إيخو حين غمرته بكل حبها ، فشرق به وغُصّ ، وقال : الفرار الفرار !

وتسلط الهم على قلبها فشفّه ، والشجن على جسمها الناحل فأضناه ، وكانت صدمة هائلة صدّعت جوانب نفسها ، وزادتها نكالاً على نكال ، ثم تتابعت الأيام وهى ما تزداد إلا سقاماً ...

واضمحلت ... ثم اضمحلت ... حتى غدت .. لا شئ !!

ولاشئ هذه ليست مبالغة فيما حل بها ، إذ الصحيح أنها غدت لاشئ ، إلا هذا الصدى يتردد فى كل واد ، ويذهب إثر كل نداء وهى إلى اليوم تأوى إلى الغيران ، وتتخلّف إلى الشطئان ، وتنحدر مع الريح على جنبات الجبال ، تنعى همها ، وتندب حظها فى النادبين !

* * *

وشاءت المقادير أن تنتقم لإيخو المعذبة من هذا الشاب الجميل نركيسوس ، الذى حطم قلبها الغض ، وقضى على نفسها المحزونة . فبينما كان فى طراد عظيم ، فى يوم قائظ ، عرج على خميلة ناضرة ملتفة الأغصان ، ليشرب من الغدير الصافى الذى يترقرق من تحتها . . وما كاد ينحنى إلى الماء حتى رأى صورته فى صفحته الساكنة ، فبهره حسنها ، وأخذ يرمقها بقلب مشوق ونفس هائمة ، وهو لا يعلم أن الحبيب الذى تامه إن هو إلا ظله ، وعروس الماء التى تبلت فؤاده إن هى إلا خياله !!

عينان كبيرتان ذواتا أهداب زانهما وَطَف ، وجبين واسع وضاء مشرق ، وخدان أسيلان كخدود ربات الأولمب ، وخَمْلٌ حلو نابت فوق بشرة الوجه يزيده رونقاً وجمالاً ، وثغر حبيب كأقحوانة أوشكت تتفتح ، ترف حوله بسمة ساحرة من حين الى حين ، وذقنٌ رقيق مستدق يرتفع على عنق يونانى رائع ، ثم فتنة تغمر ذلك جميعاً !!

خاطبه نركيسوس ، ولكن ... واأسفاه ! إنه لا يرد إلا تمتمةً ، ولا يجيب الا كما تهمهم الريح !

ومد يده ... فمد الخيال يده ، واستطير صاحبنا من الفرح ، ظاناً أن حبيبه توّاق إلى ما يريد !

واقترب بفمه ، يريد قبلة ، فاقترب الخيال بفمه كذلك .

ولكن ... ياخيبة الأمل ! ما كاد العاشق الولهان يمس الماء بشفتيه حتى ذهب حلمه أباديد ، وتكسرت مُنى نفسه الحيرانة ، وفر الخيال فى شظايا الماء ... وتحطمت الصورة الرائعة بدداً !!

وخُيل لنركيسوس أنها تقول وهى تهتز ، قبل أن تلتئم : «لا... لا ... لا ... لا ... »

ولبث عبثاً يحاول قبلة ، وتتكرر الآية كلما مست الماء شفتاه .. فانطلق مغيظاً مُحنقاً ، وهام فى القفار على وجهه ، لا يطيب لجفنه السهد كرى ، ولا يحلو لفمه المرير عيش ، لجفاء الحبيب ، ونفرة آسيه العجيب !؟

نركيسوس ! الذى بلبل قلوب العذارى ، وسفك دموع الحسان ، وضرّج كبرياء الغيد بالدم ، وأذل البسمات التى طالما حملها إليه أجنحة الحب من ثغور الفاتنات ... نركيسوس ، الذى ألقى بحب إيخو فى التراب ، تستبيه صورته ، ويتصباه خياله ، ويأسره ظله ؟ ... فيالنقمة كيوبيد ، ويالعدالة ڤينوس !!

لقد طفق يختلف إلى الغدير لدى كل شروق شمس ، يناجي

حبيبه المعبود وأمله المنشود ، فلاينثنى إلا إذا توارت بالحجاب !

وما انفك يشكو ويتوجع ويستعطف ، وما انفك الخيال يتصام ويتباكم . وإذا تحدث تمتم ! !

نركيسوس يتحول الى زهرة — تصوير بوسين

ثم ...

أجل فلا بد من ثم هذه ...

ثم ذوى عوده ، وذبلت نضرته ، وتهدم جسمه ، وتحطم قلبه ، وتأرجحت روحه فى حدقتيه ، ... و ... دنت ساعته !

ووقفت إيخو فى فنن وارف ، فى أيكة قريبة من الغدير ، تشهد الفصل الأخير ، من مأساة حياتيهما ...

وسمعته يقول مخاطباً ظله : « أيها الحبيب ! أجل ! لقد حق لك أن تنتصر على كبريائى ، وتسحق مرّتى وتهد أعضائى ... هأنذا أموت أيها الحبيب ... بقربك ... ياعروس الماء النافر ... أموت ... وأحبك ... فالوداع ... الودا ... ع »

وبكت إيخو .... ورددت هـذا الصدى الحبيب : الودا ... ع ! »

وأقبلت عرائس الماء تنوح بدورها على نركيسوس ، ثم ذهبت فى أرجاء الغابة تجمع الحطب لاحراق الجثة ؛ كما جرت بذلك العادة فى ذاك الزمن . . . ولكن ؛ يا للعجب ! لقد عادت فما وجدت غير زهرة جميلة من أزهار النرجس ! انحنت على صفحة الغدير تنظر فيه إلى ظلها . . . وتذرف دمعها . . . قطرة ، فقطرة . . .

دريني خشبة

وزارة المعارف العمومية

اعلان مسابقة

عن الحاجة الى كتب للمدارس الصناعية

تعلن الوزارة عن حاجتها الى طائفة من الكتب توضع وفقاً للمناهج الجديدة المقررة للمدارس الصناعية — وتقدم للوزارة فى ميعاد غايته ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥

وبيان هـذه الكتب وشروط المسابقة موجود بأدارة مخازن الوزارة بالقاهرة . ويمكن طلبه منها أو الاطلاع عليه بهـا أو بعدد الوقائع المصرية نمرة ١٤ الصادر فى ١٤ فبراير سنة ١٩٣٥

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب الطبيعة لأرسطو

أتمت لجنة التأليف طبع كتاب الطبيعة « لأرسطو » ترجمة الأستاذ الكبير « أحمد لطفى السيد بك »

وبه مقدمة بديعة للأستاذ « سانتهلير »

وقد طبع فى مطبعة دار الكتب على ورق جميل ويقع فى نحو ٤٥٠ صفحة من القطع الأكبر

وبهذا يكون ما أخرجه الأستاذ من كتب « أرسطو » ونشرته اللجنة ما يأتى :

		ص
كتاب الأخلاق لأرسطو	فى جزءين ثمنه	١٠٠
الكون والفساد «	فى جزء «	٤٠
الطبيعة «	« «	٥٠

(وتطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة)